# دعوة الفلسفة الإسلامية إلى الاعتدال في الخطاب الديني، ابن رشد أنموذجاً "دراسة وصفية تأصيلية"

**أ.م.د. وفاء كاظم علي** — **جامعة الأنبار- كلية الآداب**
**أ.د. إبراهيم رجب عبدالله** — **جامعة الأنبار- كلية العلوم الإسلامية**

## المستخلص

الاعتدال في الخطاب من المواضيع المهمة والمعاصرة، لذا قمنا في بحثنا هذا بتبيان جانب من جوانب الاعتدال، وكان عنوان بحثنا **"دعوة الفلسفة الإسلامية إلى الاعتدال في الخطاب الديني، ابن رشد أنموذجًا"** دراسة وصفية، فقمنا بجمع النصوص التي تخص هذا الموضوع من أمهات الكتب الفلسفية، ومن ثم قمنا بدراستها دراسة وصفية أي بما هي عليه، أو بما هي كائنة بالمعنى الفلسفي.

وقسمنا بحثنا هذا إلى مبحثين؛ كان الأول بعنوان دعوة الفلاسفة للاعتدال في الخطاب الديني، وضحنا فيه أراء الفلاسفة المسلمين من منهج الاعتدال ودعوتهم إلى تشذيب الخطاب الديني من التطرف ، أما الثاني فكان بعنوان دعوة ابن رشد للاعتدال في الخطاب الديني، تناولنا فيه معالجة ابن رشد لمسائل في العقائد.

وتوصلنا إلى نتيجة مفادها أن الاعتدال ودعوة الآخرين له هو المنهج الطبيعي والمعتمد في دوائر الفكر الإسلامي عموما، وأنهم ليسوا أدعياء في دعوتهم هذه ولا هم من الذين يتشدقون بها بالباطل كما هو حال الغرب اليوم ، فمنهج الاعتدال إذن ليس وليد هذا العصر- وإنما هو منهج أصيل ، لكننا قد نحتاج إلى التذكير به كلما استجدت الظروف واشتدت الخطوب، وهو مستمد من الفهم الصحيح للنصوص الدينية، وعالج ابن رشد في خطابه الفلسفي مسائل دقيقة في العقائد ودعا فيها علماء الدين التزام الاعتدال في هذه المسائل الخطيرة والعودة إلى الحكم فيها إلى تلك النصوص الواضحة للجمهور والعلماء على السواء.

وأخيرا علينا قراءة فكرنا الإسلامي قراءة متأنية لتبيان نقاط القوة فيه والافصاح عنها لأجيالنا القادمة والإفادة منها في فن ومهارات التعامل فيما بيننا فضلاً عن التعامل مع الآخر، وكشف أهداف ونوايا من يحاول تزييف وتهميش فكرنا الإسلامي الأصيل واتهامه بما ليس فيه من أكاذيب وأباطيل.

**الكلمات المفتاحية: الفلسفة – الفلاسفة - الإسلام – الخطاب – الاعتدال – ابن رشد**

## The Call Of Islamic Philosophy To Moderation In Religious Discourse: Ibn Rushd As A Model- A Descriptive Study

**Assist. Prof. Dr. Wafaa Kadum Ali-College of Arts- university of Anbar**
**Prof. dR. Ibrahim Rajab Abdullah-college of Islamic Sciences- university of Anbar**
**rgabibrahim@gmail.com**

## Abstract

Because moderation in discourse is an important contemporary topic, we examined one side of moderation in this research. The title of our research is "the call of Islamic philosophy to moderation in religious discourse: Ibn Rushd as a model- a descriptive study". we collect texts that relate to this topic from the mothers of philosophical books. And then we have studied a descriptive study of what it is, or what it is in the philosophical sense.

The second was entitled Ibn Rushd's call for moderation in the religious discourse, in which we dealt with Ibn Rushd's treatment of the issues of Islam and Islam. In beliefs.

And we reached the conclusion that moderation and the call of others is the natural approach and adopted in the circles of Islamic thought in general, and that they are not pretentious in their call these and are not those who brag about them in vain as the case of the West today, the approach of moderation is not then the origin of this era, In his philosophical discourse, Ibn Rushd addressed subtle issues in the doctrines, in which religious scholars called for the commitment of moderation in these serious matters and to return to power in those texts that are clear to the public and the scholars As well.

Finally, we must read our Islamic thought carefully to show the strengths and the disclosure for our future generations and benefit from them in the art and skills of dealing with each other as well as dealing with the other and revealing the goals and intentions of those who try to falsify and marginalize our original Islamic thought and accused him of lies and falsehoods..

**Key Words: philosophy, Philosophers, Islam, Discourse, Moderation, Ibn Rushd**

**المقدمة:**

موضوع الاعتدال في الخطاب أو الوسطية من المواضيع المهمة والمعاصرة، لذا نجد هناك الكثير من البحوث والرسائل والاطاريح والكتب ألفت لمعالجة ودراسة هذا الموضوع بأبعاده ومتعلقاته المختلفة، كما عقدت الكثير من الندوات والمؤتمرات لهذا الغرض.

والآن وبفضل من الله تعالى ومنته تقيم جامعة الأنبار هذا المؤتمر العالمي لمعالجة هذا الموضوع الحساس والحيوي، وما يميز هذا المؤتمر عن غيره من المؤتمرات المقامة للموضوع ذاته أن هذه المحافظة ذاتها كانت قبل وقت ليس بالبعيد مسرحاً لأفكار التطرف والغلو من بعض ذوي النفوس الضعيفة والعقول الضيقة، سواء من أهل هذه المحافظة وهم قلة والحمد لله، أو القادمين لها من خارج العراق، وكان الثمن؛ أرواح زهقت،

ونفوس أرهقت، وديار خربت، وأموال أتلفت، فأقيم هذا المؤتمر ليوضح لأبناء هذه المحافظة وللعالم أجمع خطورة الابتعاد عن منهج الاعتدال والانحراف أو الانجراف نحو الغلو والتطرف بأي شكل كان، وليبين للعالم أجمع أن أهل هذه المحافظة بالذات أبعد ما يكونون عن التطرف والغلو، وأن ما حدث هو نوع من المؤامرة التي تستهدف هذه المحافظة وأبنائها وأبناء هذا البلد بأسره لغرض تدميره وتفكيك أوصاله وتقسيمه إلى دويلات، فاستُغل ذوو العقول الضيقة والنفوس المريضة لتنفيذ هذه المؤامرة التي أفسدت البلاد وهجرت وأنهكت وقتلت العباد.

كما أنماز هذا المؤتمر عن غيره من المؤتمرات أيضا أنه تناول الاعتدال في جوانب عدة، ولم يتناوله من جانب ديني فقط، لإيصال رسالة مفادها أن الاعتدال ليس في الخطاب الديني فحسب، وإنما هو منهج حياة شامل يجب التعامل معه على الاصعدة كافة، لذا قمنا في بحثنا هذا بتبيان جانب من هذه الجوانب المتعددة للاعتدال، فركزنا على الجانب الفلسفي الداعي للاعتدال وحثه للخطاب الديني أن يكون معتدلا بعيدا عن منهج الغلو والتطرف، وهو جانب لم يتناوله باحث قبلنا بهذه المعالجة وبهذه المنهجية بحسب علمنا، وهذا ما شجعنا أن ندلي دلولنا في تبيان هذا الجانب ولو بشيء مختصر، فكان عنوان بحثنا **"دعوة الفلسفة الإسلامية إلى الاعتدال في الخطاب الديني، ابن رشد أنموذجًا دراسة وصفية** ، ولنثبت أن الاعتدال والدعوة له ليست وليد هذا العصر وإنما هو منهج أصيل وقديم، لكننا نحتاج إلى التذكير به كلما استجدت الظروف واشتدت الخطوب. وهذا البحث يبين أن العرب والمسلمين على مر التاريخ ليسوا أدعياء في دعوتهم للاعتدال كما هو الحال مع الغرب اليوم، كما يبين هذا البحث افتراء الغرب في اتهامنا بالتطرف والغلو، في حين أن سياستهم وكتاباتهم تشهد بتطرفهم وتهميشهم للأخر كما هو الحال مع الخطاب الأمريكي المعاصر وكتابات هنتنجتون وفوكوياما .

وقمنا بعد هذه المقدمة بتمهيد يوضح بعض مفاهيم العنوان وبشكل مختصر وبقدر ما يعنينا من هذه المفاهيم في بحثنا هذا، ثم قسمنا البحث إلى مبحثين؛ كان الأول بعنوان دعوة الفلاسفة المسلمين إلى الاعتدال في الخطاب الديني، وضحنا فيه أراء الفلاسفة المسلمين من مسألة الاعتدال ودعوتهم في تشذيب الخطاب الديني من التطرف والغلو، وتبيان منهج الاعتدال والذي هو منهج القران والسنة، أما المبحث الثاني فكان بعنوان دعوة ابن رشد إلى الاعتدال في الخطاب الديني، تناولنا فيه نماذج لمعالجة ابن رشد لمسائل عدة، مثل العالم بين الحدوث والقدم، وأدلة حدوث العالم، وعلم الله وغيرها من المسائل، ثم قارنا ذلك مع موقف الغرب اليوم من الاعتدال.

وانتهجنا في هذا البحث المنهج الوصفي أي دراسة النصوص على ما هي عليه، فتتضح الحقائق والوقائع في ضوء هذه النصوص من دون تدخل منا، وتعمدنا اختيار هذا المنهج لإظهار حقيقة موقف الفلاسفة من الاعتدال من دون تحليل أو استنباط أو استنتاج إلا بعد الانتهاء من هذا المنهج . ومن ثم استخلصنا النتائج التي توصلنا إليها . وآخر دعوانا أن الحمد لله .

**التمهيد:**

قبل البدء في بحثنا هذا لا بد من الوقوف على بعض مفاهيم عنوان البحث، وعلى الأقل بقدر ما يهمنا منها هنا كي لا نسهب في هذا الموضوع ولكي يتحدد سلفا موضوع البحث والأهداف المرادة منه بشكل سليم.

ومن هذه المفاهيم الفلسفة، ومقدماً نقول لا يوجد تعريف شامل ودقيق للفلسفة أو حد جامع مانع للفلسفة، فهي ليست علما منضبطا لذا لا نبالغ في القول بأن للفلسفة تعريفات بعدد الفلاسفة، أو على الاقل بعدد أتباع المدرسة الفلسفية الواحدة، فقد تكون بمعنى الدهشة، واثارة السؤال، أو التأمل والتفكير أو النظر، وحب الموت بالمعنى السقراطي _ أي التخلص من حب الشهوات وترك الملذات الحسية _ أو معرفة حقائق الأشياء بقدر طاقة الانسان، أو معرفة حقائق الاشياء والعمل بما هو أصلح وغيرها الكثير[١]، والذي يهمنا هنا الفلسفة بمعنى النظر والتأمل أي التفكير العقلي للأمور في جميع المسائل، فالله قد ميز الانسان بالعقل عن باقي الكائنات، وأمره بالنظر والتفكير في مسائل دينه ودنياه. وأمره بالتفكير لمعرفة الحق لإقامة العدل في المجتمع، وهكذا فهم علماء الإسلام هذا الامر فبثوا وفقاً للنظر العقلي علوماً كثيرة كالقياس، ومراعاة المصالح المرسلة، وإقامة المقاصد للشريعة للعمل بموجبها، ورب قائل يقول إنه لا دخل للعقل في مسائل الدين، ونراه اعتقاد أو فهم خاطئ، فالله لم يأمر أحداً من المخلوقات بالالتزام بالدين إلا بعد أن أعطاه العقل، ومتى ما فقد الإنسان عقله سقط التكليف عنه، أي لولا العقل لما عرفنا الدين، إما أن نقدم الدين على العقل فلا ينبغي أن يكون ذلك إلا بعد التسليم العقلي بصحة الاعتقاد، وتبقى مسائل من الغيبيات هي خارج إطار المشاهدة والتجربة الحسية فنسلم بصحتها عن طريق النقل الذي ثبت لنا أصلا صحته عقليا، وبغض النظر عن هذه التفاصيل الدقيقة في المسائل الكلامية والفلسفية، وبغض النظر عن موقفنا منها إلا أن الهدف المستوحى هو عدم التساهل في تكفير المخالف، ومحاولة التماس مذهب للمخالف طالما أنه لم يخرج عن اصول الدين المتفق عليها هذا في دائرة الإسلام، كما ينبغي التعامل والتعايش مع المخالفين لنا في الدين وفقاً للأخوة الإنسانية، وهذا أيضا لا يتعارض مع الإسلام بل هو ما أوجبه علينا .

والاعتدال بالمعنى الفلسفي مقارباً من معناه في اللغة المشتق من العدل أي القصد في الأمور والاستقامة، وهو نقيض الجور الذي هو الميل والتجاوز في الامور[٢]. فكذلك فلسفياً يعني التزام المنهج الوسط أو الأفضل، فالاعتدال عند الفلاسفة في الجانب العملي يمثل الوسط الذهبي بالمعنى الارسطي، إذ جعل الفضائل وسطاً بين رذيلتين، فهو توسط بين إفراط وتفريط، وبالاعتدال نحصل على اغلب الفضائل من حكمة وكرم وشجاعة وكبر النفس وصبر وحلم وشهامة ووقار[٣]. والكمال لا يكون الا بالاعتدال ومعيار الاعتدال يكون بالعقل والشرع[٤]. وهكذا سار على هذا المنهج أغلب فلاسفة ومفكري الإسلام[٥].

ومفهوم الاعتدال في الشرع فهو منهج حياة، وهو الوسطية في الأخلاق والسلوك والعبادة والمعاملات، والوسطية هنا بمعنى اختيار الأفضل والأحسن والأقوم[٦]. وامتاز دين الإسلام بالاعتدال فهو دين وسط بين الافراط والتفريط أو بين الغلو والجفاء، وهو دين لا يقبل أي صورة من صور الغلو، لا بل نجده يرفضه ويحاربه ويحذر من الوقوع فيه، وهناك آيات في القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية كثيرة تثبت وتؤكد على التزام الاعتدال كمنهج لحياة المسلمين نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى :- " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا "[٧] وقوله تعالى :– " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ "[٨] ومن أحاديث

الرسول (ﷺ) الدالة على الاعتدال في الأمور وعدم الغلو فيها قوله (ﷺ) :- " يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَ إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَ إِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" [٩] وقوله (ﷺ) : " هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ " [١٠].

ويرى محمد عبده أن الدين الإسلامي هو دين توحيد لا دين تفريق، وأن العقل هو من أشد أعوانه كما أن النقل هو من أقوى أركانه[١١].

ونرى من خلال هذه التوضيحات أن الاعتدال في الفلسفة والدين يكاد يكون معناهما واحداً، وكلاهما يحثان على عدم تطرف أو غلو أو تقصير، لأن كل ذلك مذموم مرفوض عقلاً وشرعاً.

أما الخطاب الديني فالمقصود به في بحثنا هذا كل ما أنتجه المفكرون المسلمون في العلوم الشرعية كافة من زمن بعثة الرسول(ﷺ) إلى يومنا هذا فنعني به إذن الفكر الديني[١٢]، وأكثر ما يهمنا هنا ما يخص المسائل العقدية أو ما يتعلق ويرتبط بها من قريب أو بعيد . وقد يحدث أن بعض المفكرين يتعصبون أو يتطرفون أو يغالون في مسألة ما، فنجد الكثير من المفكرين الأخرين في دوائر الفكر الإسلامي يحاولون نزع فتيل هذا الغلو والتطرف والعودة بهم إلى منابع وأصول الدين الحنيف، ومن هؤلاء المفكرين الفلاسفة المسلمون الذين دعوا دائما في خطاباتهم الفلسفية إلى الاعتدال في الخطاب الديني وهذا ما سنوضحه في بحثنا هذا.

**المبحث الأول: دعوة الفلاسفة المسلمين إلى الاعتدال في الخطاب الديني**

- **الكندي (ت٢٥٦هـ)**

يعد الكندي أول فلاسفة الاسلام، والفلسفة عنده هي علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان[١٣]. وجعل العلم بالله او العلة الاولى هي اشرف اجزاء الفلسفة وسمى الفلسفة التي تتناول هذا الموضوع بالفلسفة الاولى[١٤]. وهو بهذا الاتجاه يكون قد وافق الفلاسفة اليونان بأن الفلسفة تشمل جميع العلوم وان أعلاها منزلة هي الميتافيزيقا، واستمر النظر للفلسفة وفقا لهذه الرؤية الشمولية وصولا الى العصور الحديثة عندما بدأت العلوم بالانفصال عنها تدريجيا . ولكون الكندي أول فيلسوف عربي وبأثر الدين والفكر الاسلامي نجد كثيرا من آرائه قريبة جدا من المنظور الديني لاسيما من المتكلمين وعلى الأخص المعتزلة، كقوله بحدوث العالم من العدم، وتناهي جرمه، وبالصفات وبالذات الالهية وفي استشهاده بالنصوص الدينية لإثبات آرائه الفلسفية ....الخ[١٥]. ويجعل الكندي العلم الالهي علم خاص بالرسل والانبياء ولا سبيل أو قدرة لأحد غيرهم تلقي هذا العلم فهو علم يفيض به الله على رسله، وهو علم فوق قدرة عقول البشر[١٦]. ويستدل الكندي على صدق النبوة من خلال إجابتهم على أمور خفية لا يستطيع سواهم الاجابة عنها[١٧]. وبهذا يتبين لنا من خلال هذه النصوص منزلة الدين عند الكندي، ومنزلة المعرفة الغيبية المتأتية من الوحي الالهي فنجده يجعل المعرفة الغيبية احدى شقي المعرفة، وهما المعرفة الدينية، والمعرفة العقلية، وجعل المعرفة الدينية جزءًا من المعرفة بالمعنى الأعم التي هي الفلسفة، وكان بذلك هو أول فيلسوف يدخل المعرفة عن طريق الوحي في ضمن الفلسفة بل جعلها اشرف وأعلى منزلة في الفلسفة اذ سماها بالفلسفة الاولى[١٨].

ويتجلى موقف الكندي في حثه على الاعتدال في الخطاب الديني من خلال دفاعه عن ضرورة وجوب اقتفاء الحق واستحسانه في أي شخص كان وان كان مخالفا لنا في الدين أو المذهب فيقول علينا أن لا نذم احدا كان سببا في منافعنا مهما كانت هزيلة فكيف من جاء

بمنافع عظيمة – ويقصد بها علوم من سبقنا من المخالفين لنا في المذهب والملة- إذ لولاهم لما استطعنا ان نصل الى ما وصلنا اليه من معارف ، وعلى المنصف أن يشكرهم لا يذمهم ويكفرهم ويصف الكندي من يقوم بتكفير هؤلاء الذين كانوا سببا في معارفنا الطبية والفلكية والطبيعية والرياضية والاخلاقية والالهية بأنهم من التجار في الدين كما يصفهم بأنهم عدماء الدين لأن من تاجر بشيء باعه ومن باع شيئا لم يكن له[١٩].

- **ابو بكر الرازي (ت٣١٣هـ)**

عظّم الرازي دور العقل والتفكير الفلسفي لنيل السعادة وبلوغ المنافع العاجلة والآجلة، وعدّ العقل من أعظم نعم الله علينا وبه انماز الإنسان من باقي المخلوقات، وبه نلنا جميع العلوم والمعارف[٢٠]. وعن طريق العقل والقوة الناطقة بالتحديد يستطيع الإنسان التغلب على جميع الأمراض النفسية كالعُجب والحسد والغضب والكذب والبخل .....الخ[٢١]. ويحض الرازي الناس على وجوب التحلي بالأخلاق الفاضلة، ولا يكون ذلك الا من طريق معاملة الناس بالعدل والنصح لهم والاجتهاد في نفع الناس جميعا. وينتقد الرازي من يحاول أن يفهم من شريعته ونواميسه أنها دعوة للتعصب والتمذهب والابتعاد عن الأخلاق الفاضلة، فيمتنعون من إطعام أو سقي أو معالجة المخالف لهم في المذهب والملة، ويبيحون غشهم بل وقتلهم. ويرى أن معالجة ذلك يكون من خلال فهم الدين الصحيح، والابتعاد عن المذاهب الرديئة، وتحكيم العقل في تقرير الصواب، والتزام الانسان بالعدل والعفة، والاقلال من مماحكة الناس وجدالهم، والنصح والرحمة لهم فينال بذلك محبتهم[٢٢].

- **الفارابي (ت٣٣٩ هـ)**

رسم الفارابي منهجا لنيل السعادة في الدارين وذلك من خلال كتابه الشهير بآراء اهل المدينة الفاضلة ومضاداتها ، وفي هذا الكتاب حاول الفارابي التوفيق بين الفلسفة والدين، فنجده قد استلهم أهم الافكار والآراء والنظريات الفلسفية عند اليونان لاسيما افلاطون وارسطو، وحاول مزجها مع مبادئ الدين الاسلامي، وتجلى ذلك التوفيق في مواقف كثيرة لعل اهمها وفيما يتعلق بموضوع بحثنا هذا أنه جعل رئيس مدينته الفاضلة إما نبيا وإما فيلسوفا لكي يكون عادلا فاضلا، كي يستطيع قيادة مدينته وفقا للعدل وحصول أبنائها على السعادة، وعنده أن النبي والفيلسوف يتلقيان علمهما من مشكاة واحدة، ولا اختلاف بينهما سوى من طريق التلقي فالفيلسوف يتلقى علمه من طريق القوة الناطقة – وهي قوة من قوى النفس لها قدرة على معرفة المعقولات مجردة من المادة - والنبي يتلقى علمه من طريق القوة المتخيلة وهي أرقى ما تكون عند الأنبياء لصفاء ونقاء سريرتهم ونفوسهم ومن خلال هذه القوة يستطيعوا التواصل مع الجمهور[٢٣]، وبالتالي تكون مدينته وكل أهلها من الفضلاء، كما نستطيع أن نلمس من خطاب الفارابي دعوته إلى الاعتدال في المواصفات التي وضعها أو أوجبها في رئيس المدينة، لعل أهمها أن يكون حكيما، جيد الفهم، فطنا ذكيا، محبا للصدق مبغضا للجور والظلم وأهله، وأن يكون عالما حافظا للشرائع، له القدرة على الاستنباط من الاصول في الحوادث بما يصلح حال المدينة[٢٤].

- **ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ)**

لم يختلف ابن سينا عن المنهج الذي سار عليه اسلافه من الفلاسفة في موقفه الداعي إلى الاعتدال وتحلي الملتزم دينيا بالاعتدال والكمال والاخلاق الفاضلة من النزاهة والحكمة والرحمة، ويقسم ابن سينا المؤمنين بالله إلى أقسام بحسب عبادتهم وقربهم من الله أو بحسب هدفهم، لكنه يوجب على الجميع وعلى الرغم من اختلاف مناهجهم وسلوكهم في

الوصول إلى الله التعاون فيما بينهم، وان لا غنى للإنسان عن أخيه الانسان فلا بد من المشاركة فيما بين أبناء المجتمع الواحد لنيل السعادة في الدنيا والفوز بالجنة في الاخرة[٢٥]. ويسمي من أعرض عن متاع الدنيا وملذاتها بالزاهد، والملتزم بنوافل العبادات من صيام وقيام بالعابد، والمنصرف بفكره الى الذات الالهية والملأ الاعلى بالعارف، ويذكر ابن سينا أن من الممكن ان تتداخل هذه التسميات في مسمى واحد[٢٦]. وهو بتقسيمه هذا يقر بوجود سبل وطرق مختلفة يسلكها العابدون لمعرفة الله كما يقر ويسلم بوجوب تعاون الجميع فيما بينهم على الرغم من اختلافهم في طرق العبادة، وأن لا يكون هذا الاختلاف سببا في الفرقة. ويوجب ابن سينا أن يكون هذا التعاون مبني على العدل والمساواة بين الناس، وأن تكون هذه السنن والقوانين إلهية أو مستوحاة من الله كي تكون صائبة، ومن الجدير بالذكر أن ابن سينا يضع ضوابط وحدودا للتعليم الديني، وعلى المختصين أن لا يتجاوزوا هذه الحدود في تعليم الجمهور لمسائل العقيدة كي لا يبلغوا مبلغ الشك في الدين، وعليهم اختيار الطرق الاسهل والأفضل في تفهيم المسائل المهمة ويكون ذلك عن طريق ضرب الامثلة، فهي اقرب للتوضيح لعقول العامة[٢٧].

ونجد ابن سينا يصف من يصل الى درجة العارف يجب ان يتصف بصفات تكون أقرب الى صفات الانبياء منها مثلاً أن يكون هشاً بشاً، يبجل الصغير في تواضع كما يبجل الكبير، ويتعامل من الخامل كما يتعامل مع النبيه، وأن يكون جميع الناس عنده سواسية، وينظر اليهم بالرأفة والمودة والرحمة، كما أنه أوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللين لا بالعنف والتشدد[٢٨].

- **اخوان الصفا**

يضع اخوان الصفا قواعد ومنهجاً للحوار والجدل بين المتنازعين والمختلفين في وجهات النظر بشأن المسائل الدينية أو العقائدية فيذكرون ان كل مسألة تنازع فيها جماعة فلا يخلو إما أن يكونوا من المختصين في هذه المسائل وإما غير مختصين، فإن كانوا غير مختصين فكلا منهم سيكون من غير أصل مقرر منهم، وكل ما كان هذا سبيله فلا تحصيل أو فائدة منه ولا حجة لدعاويهم، وأن كان أحدهما من غير المختصين بهذه المسائل فإن جداله وحواره مع من هو مختص يكون تعد وظلم منه لمخالفه، وكذلك كلام صاحبه معه هو تخلف منه إذ انه يجادل من هو ليس من اهل صناعته فأن كان الطرفان من اهل تلك الصناعة فلا يخلو ايضا إما ان يكونا متساويين في الدرجة وإما متفاوتين ، فإن كانا متفاوتين فحكم الجدال بينهما كحكم ما ذكر سابقاً وأن كان متساويين فلا بد أن يحتكما فيما اختلفا فيه إلى قواعد وقوانين تلك الصناعة وأصولها ويقيسا عليها تلك المسائل المختلف فيها فيما بينهم فإن لم يستطيعا ذلك فلا بد أن يلجئا إلى من هو أعلى درجة منهما في تلك الصناعة ليحكم بينهم فإن لم يجدا من هو كذلك فليس لهما الا ترك الجدال في مثل تلك القضايا والمسائل والسكوت عنها لأن الاستمرار في مثل ذلك الجدل سيكون سبباً للخصومة بينهما ونشأة العداوة والبغضاء، وينبه اخوان الصفا أن اغلب الخلافات بين العلماء في الآراء والمذاهب هو لهذا السبب[٢٩]. وبذلك يضع اخوان الصفا منهجا عمليا للخروج من الخلافات والعداوات الناشئة بسبب الاختلاف في المسائل الدينية . بل ويرون أن الاختلاف في المسائل الدينية مسألة ايجابية لأنه نتيجة الاجتهادات واختلاف العلماء في الآراء والمذاهب فوائد جمة منها أنها تكون سبباً ليقظة النفوس من النوم والكسل وانتباهها من الغفلة والسهو، إذ إنها تحرك في المخالف البحث عن الحجج والبراهين لإثبات صحة مذهبه أو رأيه، ومن فوائد الاختلاف بين العلماء معرفة كل منهم عيوب بعضهم لبعض وذكر مساوئ بعضهم لبعض فيكون ذلك تنبيهاً لهم جميعاً على

ترك الرذائل وحثهم على اكتساب الفضائل ، ويضيفون اخوان الصفا أن في اختلاف العلماء في احكام الدين رحمة كي لا يكون أمر الدين ضيقاً لا رخصة فيه، وهذا مناف لقوله تعالى " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"[٣٠] وبهذا فبالاختلاف تدرأ الحدود إذ قال ﷺ" ادرأوا الحدود بالشبهات"[٣١].

- **ابن طفيل (ت٥٨١هـ)**

نرى أن الدعوة إلى التوفيق بين الدين والفلسفة أو بين الشريعة والحكمة قد بلغت مبلغاً عظيماً عند ابن طفيل في قصته الفلسفية الرمزية حي بن يقظان، إذ امتزجت فيها الفلسفة مع الشريعة، والاشراق مع التصوف على أبهى وأجمل واكمل ما يكون، فهي قصة اختصرت تاريخ الفكر الفلسفي الاسلامي، بل الفكر الفلسفي بالإطلاق، ونجدها بحد ذاتها قصة تدعو الى الاعتدال إذ أن التنوع والاختلاف في الافكار بين شخصيات القصة ما هو الا نوع من قبول الآخر، وعدم ارغام المخالف على اتباع مذهب معين، فرأى ابن طفيل أن الحقيقة واحدة ولكن قد يختلف الطريق المؤدي لهذه الحقيقة من شخص إلى آخر، لذا نجد حي بن يقظان الفيلسوف الاشراقي قريباً جداً من ابسال الصوفي العابد، كما نجده يتفهم سلامان المتمسك بالظاهر، بل نجده يحاول تفهم أمور طالما كفرت فرق منهم الاخرى، فيناقشها وفقاً للأسس العقائدية فيجدها بعيدة جداً عن ميدان التكفير مثال ذلك مسألة العالم بين القدم والحدوث، فمن يقول بالقدم يكفر من يقول بحدوث العالم لأن ذلك يستوجب تجدد مرجح وارادة وقدرة ...الخ، بينما نجد من جانب آخر ايضاً من يقول بحدوث العالم يكفر من يقول بقدم العالم لأن ذلك في نظره استغناء العالم عن وجود صانع أو صدور العالم بالاضطرار من الله تعالى، وهذا الاضطرار يتنافى مع الارادة والقدرة الالهية[٣٢]. بينما نجد ابن طفيل بعد عرضه لآراء الفريقين يقول سواء أكان العالم قديماً أو حادثاً فلا بد من وجود إله خالق للعالم ومنظم له، وبهذا لا يستوجب قول أحد تكفير المخالف له[٣٣].

**المبحث الثاني:دعوة ابن رشد إلى الاعتدال في الخطاب الديني**

انشغل ابن رشد(ت ٥٩٥هـ) بموضوع التوفيق بين الحكمة والشريعة وبيان حدود كل منهما، لذا نجد أهم كتبه الثلاثة تناولت هذا الموضوع وهي :-

١- تهافت التهافت .
٢- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال .
٣- الكشف عن مناهج الادلة .

ومما أنماز به ابن رشد عن أقرانه من الفلاسفة أنه جعل دراسة الفلسفة واجب، وأنها فرض عين على كل مسلم ومسلمة، إذ إنها ليست سوى النظر في الموجودات واعتبارها ودلالتها على الصانع، وهذا ما حث الشرع عليه مثال ذلك قوله تعالى:- " فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ"[٣٤] وقوله تعالى:- " أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[٣٥] وقوله تعالى:- " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "[٣٦] وغيرها من الآيات الكثيرة التي تحض على ذلك[٣٧]. وهو بفعله هذا جعل الفلسفة في ضمن العلوم الواجب تعلمها حالها حال العلوم الشرعية، لا بل هناك من العلوم الشرعية ما هي فرض كفاية، بينما الفلسفة عنده فرض عين .

ونرى أن ابن رشد سلك هذا المسلك وهو الفقيه القاضي المالكي المذهب ليسوغ من طريق النظر العقلي الحد من غلو بعض المتشددين والمتطرفين من أصحاب بعض المذاهب الفقهية والكلامية لذا أوجب على الفقهاء معرفة المقاييس الفقهية بأنواعها المختلفة

ومعرفة القياس العقلي[٣٨] كي يتمكنوا من معرفة الامور على حقائقها، ومن المعلوم أن إتقان الفقهاء للمنطق والقياس العقلي يمكنهم من القدرة على التفكير السليم، ويربي في الإنسان ملكة النقد والتحليل، ويعصم الفِكرِ عن الوقوع في الخطأ الذي يُؤدِّي إلى الجُنوح الفِكر.

ومما دعا إليه ابن رشد أيضا أن النظر ودراسة كتب الفلاسفة القدماء واجب شرعا لأن مقصد هؤلاء الفلاسفة هو ما حثنا الشرع عليه في النظر في الموجودات[٣٩]. ومن الجدير بالذكر هنا أن ما دعا اليه أول فلاسفة الاسلام الكندي بهذا الشأن[٤٠] قرره وأوجبه شرعاً آخر كبار فلاسفة الإسلام، ويبدو أن ما عاناه المغرب الغربي من تعصب وتشدد من بعض المتنفذين كان هو الذي دعا ابن رشد مواجهتهم بالأسلحة ذاتها التي يواجهون خصمهم بها، فأوجب دراسة الفلسفة عن طريق الشرع .

ووضح ابن رشد فلسفيا طريقة الاعتدال في الدعوة والخطاب الديني إذ يبين أن الناس مختلفون ومتفاوتون في الجبلة والطبيعة فمنهم من لا يرضى الا بالبرهان[٤١] ومنهم من يصدق بالجدل[٤٢] ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية[٤٣]. واستند ابن رشد في تقسيم الناس في طرق المعرفة هذه على قوله تعالى " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" [٤٤]. وهو بهذا التقسيم في تلقي المعرفة يشير الى ضرورة دينية واجتماعية مهمة جداً الا وهي عدم إجبار الناس على السير في طريق ومنهج واحد محدد للمعرفة الدينية، كما يدعو إلى عدم رفض المخالف والمغاير لنا في فهمه لقضايا الدين. ويذكر ابن رشد أن عظمة الدين الاسلامي وعالميته تجلت من خلال هذه الطرق المختلفة في الدعوة لذا بُعث محمد (ﷺ) إلى مختلف شعوب الارض على الرغم من اختلافهم الثقافي والحضاري والمعرفي فالدين الإسلامي صالح لكل فرد ومجتمع على مختلف العصور والأماكن[٤٥] .

ومن المسائل المهمة التي تناولها ابن رشد البحث في فهم الدين وفقا لرؤية عقلية فلسفية منفتحة على تقبل الآخر المخالف لنا وعدم التعصب لمذهب معين واقصاء ما سواه . وقوله بعدم تعارض العقل مع الشرع طالما كان كلاهما من الله تعالى والحق لا يضاد الحق وإنما يوافقه ويشهد له ويوضح تفاصيل هذه المسألة كالاتي :- إن ما توصل اليه الإنسان عن طريق العقل من معارف لا يخلو؛ إما أن يكون الشرع قد أشار إليها، أو أن يكون قد سكت عنها، فإن سكت عنها فلا تعارض إذن بينهما ولا يجوز رفض الآخر واقصائه لمخالفته لنا في مسألة من هذا القبيل لأنه لا يعارض أو يخالف نصاً من القرآن أو السنة، فلا تعارض بين العقل والشرع وإن كان الشرع قد ذكره فلا يخلو إما ان يكون ما نطق به الشرع موافقا لما توصل اليه العقل، فلا تعارض هنا أيضا وإما ان يكون مخالفا لما وضحه الشرع وهنا يتبين منهج واصالة تفكير ابن رشد في حل هذه المشكلة بناء على ان لا تعارض بين الشرع والعقل فقال بوجوب اللجوء الى التأويل اي اخراج دلالة اللفظ من دلالته الحقيقية الى دلالته المجازية على أن لا يخل بعادة لسان العرب في المجاز[٤٦]. ويقول ابن رشد إن الفرق الإسلامية اجمعوا على أن لا تُحمل جميع الفاظ الشرع كلها على ظاهرها فلا بد من حمل بعضها على التأويل. موضحاً لنا سبب احتواء الشرع على ظاهر وباطن يحتاج الى تأويل هو اختلاف وتباين الناس في طرق النظر والتصديق[٤٧]. واصراره على هذه المسألة وتوضيحها بهذا الشكل وبهذا التفصيل نابع من موقفه كمفكر وفيلسوف مسلم في دعوته للاعتدال وعدم تكفير المخالف لنا في الفهم طالما احتمل قول المخالف وجهاً من أوجه التأويل ويستشهد هنا بقول الغزالي والجويني في عدم وجوب تكفير الخارق للإجماع في مسألة ما عن طريق التأويل[٤٨]. ويرى ابن رشد أن ظاهر الشرع هو لجمهور المسلمين، بينما باطن الشرع أو ما يُطلق عليه بالمؤول

فهو للعلماء فقط ولا يجوز ان يُفصح عنه للجمهور كي لا يكون الدين محط نزاع وخلاف وشك بين المسلمين ويستشهد ابن رشد بقول لعلي رضي الله عنه "حدثوا الناس بما يفهمون ، أتريدون ان يُكذب الله ورسوله"[٤٩] ، لذا فعلى علماء الدين عدم الزام أو تكليف عوام المسلمين بمسائل خارجة عن قدراتهم العقلية ويعقدوا عليهم مسائل في الدين سهلها الله عليهم، وقامت الفرق الاسلامية بتكفير بعضهم بعضاً بسبب هذه المسائل والتفريعات الدقيقة التي هي في حقيقتها ليست من المواضيع التي تدخل في ضرورات الدين، أو في ضمن النصوص قطعية الثبوت أو قطعية الدلالة التي يكون منكرها خارج الملة . ويرى ابن رشد أن هناك فِرقا نشأت في الإسلام كل منها ترى أنها على الشريعة الأولى وأن كل من خالفه إما مبتدع وإما كافر مستباح الدم والمال، ويصف ذلك بأنه خروج وعدول عن مقصد الشارع وخلل في فهم الشريعة[٥٠]. ويدعو الله تعالى أن ينبذ الفرقة بين المسلمين وتبديع وتكفير بعضهم بعضاً، وان يسدد الكل ويوفق الجميع لمحبته ويجمع قلوبهم على تقواه ويرفع البغض والحقد عنهم بفضله[٥١].

وسنتناول في بحثنا هذه نماذج من هذه المسائل وهي في الحقيقة مسائل خطيرة كانت محل نزاع بل محل تبديع وتكفير بين الخصوم، الا أن ابن رشد يعالجها معالجة عقلية منطقية مستنداً على النصوص المقدسة من القرآن والسنة ليبين لنا ان منتحلي هذه الاقوال لا يستوجبوا التكفير من مخالفيهم

**اولاً: مسألة العالم بين القدم والحدوث .**

يعرض ابن رشد آراء من يقول بقدم العالم من جهة، ومن يقول بحدوثه من جهة اخرى، ويراها مسألة خلافية اجتهادية لا تستوجب التكفير ممن يقول بقدم العالم أو بحدوثه ، وينتقد المتكلمين الذين يكفرون القائلين بقدم العالم ويحاججهم بأن القرآن الكريم فيه آيات يدل ظاهرها على القدم مثال ذلك قوله تعالى:- " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" [٥٢] . ويقول أن ظاهر هذه الآية يدل على أن هناك وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء والزمان المذكور في الآية الانفة الذكر، وكذلك قوله تعالى " ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ "[٥٣]. ويقتضي ظاهر القول بأن السماء خلقت من شيء، ويصل ابن رشد من هذا التحليل إلى أن من يقول بحدوث العالم من الفقهاء والمتكلمين هم متأولون أيضا، ولم يأخذوا بظاهر النصوص الدينية فهم إذن شأنهم شأن من يقول بقدم العالم، وطالما الكل متأول إذن فالاختلاف في التأويل لا يستوجب التكفير وانما يترتب على قول المتأول إما مصيب مأجور وإما مخطئ معذور[٥٤].

**ثانيا: طريقة إثبات وجود الله**

ناقش ابن رشد اختلاف الفرق الاسلامية في مسألة كيفية معرفة وجود الله، ورأى أن هناك خلافات لا تستوجب التبديع والتضليل أو التكفير، وإنما هو خلاف قد عقّدته بعض الفرق الإسلامية، وخرجت به عن معناه المبسط الذي يفهمه كل الجمهور، فيذكر أن بعض الفرق جعلت معرفة الله واجبة شرعا لا عقلا[٥٥]. وضللت من يقول بوجوب معرفة الله بالعقل، فيرد بأن الاصل هو معرفة الله عقلا، ونصوص القرآن الكريم تثبت ذلك إذ قال تعالى: - " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[٥٦] وكذلك قال تعالى:- " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[٥٧] فهنا الواجب الشرعي إذن معرفة الله عقلاً، لكن لا يمنع هذا من وجود اناس بهم بلادة العقل بحيث

لا يستطيعون النظر العقلي في الموجودات، وفي هذه الحالة يقرر ابن رشد أن من كان حاله كذلك فتكون الأدلة الشرعية التي وضعها الشارع للجمهور في معرفة الله تعالى كافية له ولا يؤاخذ على عدم معرفة الادلة العقلية[٥٨] .

وابن رشد بمعالجته لهذه القضية بهذه الطريقة يكون قد حل مشكلة كبرى قائمة بين الفرق الإسلامية إذ دعاهم إلى عدم النظر بتعصب وتطرف غير مبررين فكلا الطريقتين صالحتين لمعرفة الله وبحسب قرائح المخاطبين .

**ثالثاً : دليل حدوث العالم .**

انتقد ابن رشد المتكلمين التعقيد المتبع عندهم لمعرفة وجود الله عن طريق دليل الحدوث ويراه بأنه صعب ومعقد على الجمهور، وانه ليس بالدليل البرهاني، وذلك لأن مقدماته غير يقينية، ودليل الحدوث مبن على أن العالم مؤلف من اجزاء لا تتجزأ أو (الجواهر الفردة) وهي حادثة اذن فالعالم حادث[٥٩]. ويرى أن هذه الطريقة صعبة لا يستطيع حلها الكثير من المتكلمين فضلا عن الجمهور، إذ إن كون هناك جوهر فرد غير قابل للقسمة قضية برهانية وليست جدلية لأن أهل الجدل مختلفون فيما بينهم فكيف ينبني على شيء غير ثابت بدليل، لاسيما دليل اثبات وجود الله، إذ لو تبين ذلك للجمهور فسيكون وجود الله ذاته محل شك عندهم، فيجب الابتعاد عن هذا الطريقة في اثبات وجود الله، واللجوء إلى أدلة القرآن الكريم، وهي أدلة واضحة دعا الشرع اليها جميع الناس على اختلاف فطرتهم وهما:-

١ – **دليل العناية :** الذي يبين ان جميع المخلوقات مخلوقة من اجل الانسان مسخرة له فلا بد من مسخر وخالق لهذه الاشياء ولا يمكن أن تكون عن طريق الصدفة أو الاتفاق، والقرآن الكريم حافل بآيات كثيرة تدل على تسخير الله الموجودات للإنسان منها قوله تعالى:- " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا "[٦٠] وقوله تعالى:- " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ "[٦١] وغيرها من الآيات .

٢ – **دليل الاختراع :** الذي يبين أن الله خلق الأشياء بعد عدم وجودها وكل مخترَع فلا بد له من مخترِع إما الآيات التي تضمنت دليل الاختراع فمنها قوله تعالى:- " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ "[٦٢] وغيرها الكثير من الآيات .

ومن حرص ابن رشد في عدم إقحام الجمهور في مسائل كلامية وفلسفية دقيقة هم في غنى عنها لأنها ليست من أمور الدين التي يحاسب عليها المرء لا في الدنيا ولا في الآخرة يرى أنه ليس كل ما سكت الشرع عنه من العلوم ينبغي أن يفصح عنه ويصرح للجمهور بما أدى النظر اليه ويعد من العقائد، لان ذلك يسبب الخلط عند عامة الناس فينبغي ان يسكت عن مثل هذه المسائل التي سكت عنها الشرع، ولا يجوز الخوض في مثل هذه الاشياء وأن لا يتعدى التعليم الشرعي الذي صرح به الشرع، فهو تعليم مشترك للجمهور وكان في بلوغ سعادتهم[٦٣] .

**رابعاً. مسألة العلم الإلهي**

ينبه ابن رشد في مسألة العلم الالهي في أنه مغاير واشرف من العلم الانساني ويجب أن لا يقارن به اصلاً، لان الأخير حادث متغير متناه، بينما الأول ثابت مطلق قديم غير متناه، ويرى أن كل ذلك لا يكلف الناس بالاعتقاد به، لأن هذا من علم الراسخين في العلم، وهو ليس من التعليم الشرعي لعامة الناس فيجب عدم اشغالهم به ومن أثبت هذه المسائل في غير موضعها فقد ظلم كما ان من كتمه عن اهله فقد ظلم[٦٤].

**خامساً. حقيقة النفس الإنسانية**

يرد ابن رشد في مسألة ماهية النفس الانسانية على الغزالي بأن الكلام في أمر النفس وحقيقتها غامض جدا، وهي من اختصاص العلماء الراسخين في العلم، لذا أجاب الله تعالى في هذه المسألة الجمهور " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "[٦٥] وكذلك قال تعالى " اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا "[٦٦] وفي هذا القول تبيان لائق للجمهور، وكذلك هو منبه للعلماء على أن النفس باقية بعد مغادرتها للجسد[٦٧].

ومن هنا يتضح لنا منهج ابن رشد في مخاطبته لعلماء الدين في عدم اقحام الجمهور بمسائل هم في غنى عنها وهم غير مخاطبين بها أصلا، والأفضل افهامهم بما جاءت به النصوص والوقوف على ظاهرها على قدر الامكان الا إذا احتاجت تأويلا فيوضح لهم ذلك من خلال الامثلة، وأن اقحامهم في دقيق علم الكلام والفلسفة يعطي نتائج عكسية تضر بهم وبالمجتمع، إذ إن ذلك يؤدي إلى الفرقة والاختلاف والمشاجرة والابتعاد عن ماهية الدين وهدفه الحقيقي في إسعاد الإنسان في الدارين.

وبذلك يتبين لنا زيف وافتراء بعض سياسي ومفكري الغرب في ادعائهم بأن الإسلام دين عنف وتطرف وغلو، والتاريخ والواقع يثبت العكس تماماً، وكما يقول المثل العربي رمتني بدائها وانسلت، إذ ما وصل إليه الغرب من تقدم وتكنولوجيا وثراء ما كان إلا بسبب حروب طاحنة واحتلال ونهب لثروات الشعوب على مدى القرون المنصرمة ، بل ولا زال هذا النمط من التفكير التسلطي هو السائد والقائم، مثال ذلك ما نجده في فكر هنتنكتون في تفسيره للتاريخ على أساس الصراع والحروب بين الحضارات والأديان، ويخطئ كل من يرى خلاف ذلك[٦٨]، وكذلك نجد فوكوياما يصور لنا نهاية التاريخ على أنه انتصار للفكر الليبرالي الأمريكي، إذ كل الحضارات سوف تسير لهذه الغاية، والعاجزة عن الوصول إليها فستكون خارج التاريخ[٦٩]، والواضح أن هذه النظريات هي التي يؤمن بها الغرب وهي نابعة من فكرة المركزية الغربية، والتسلط الغربي وهي نظرية أحادية البعد، غير قادرة على روية الآخر من منظور إنساني أخلاقي وإنما تؤمن بالاستعلاء والتفوق عليه وبالتالي تهميشه، وما يقوم به رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية الأن ما هو إلا صدى أو نتاج فكرهم التسلطي العنجهي القائم على الإرهاب والتطرف الفكري وهو مصدر ومنشأ كل إرهاب في العالم .

**الخاتمة:**

بعد الانتهاء من هذا البحث نرى أنه من الضروري أن نبين ما توصلنا إليه من نتائج باختصار:-

- الاعتدال والوسطية وعدم الغلو هو المنهج الطبيعي والمعتمد والسائد في دوائر الفكر الإسلامي عموما ومستمد هذا المنهج من الفهم الصحيح للنصوص الدينية التي سبق أن

أشرنا إلى نماذج منها وهي آيات من القران الكريم وأحاديث من السنة النبوية الشريفة في بداية بحثنا هذا، وأن الغلو والتطرف طارئ وربما نابع من الأهواء أو المصالح الشخصية، ولكل زمان ومكان ظروفه الخاصة به، فعلينا أن لا نتمسك بآراء وفتاوى صدرت من بعض أصحاب الفرق قبل أكثر من ألف سنة في مسائل تعد من المتغيرات في الدين وليس من الثوابت والأصول، ولم تعد تناسب هذا العصر مثال ذلك تبديع وتضليل وتكفير بعض أصحاب الفرق لمخالفيهم، ربما كانت بدوافع وأهداف سياسية أو فئوية معينة، أو نابع من فهم خاطئ للنصوص الدينية .

- وجدنا أن فلاسفة الإسلام عموماً وعلى اختلاف مشاربهم وثقافاتهم يتمسكون بالاعتدال والتوسط في معالجة الامور، ونرى أن هذه مسألة طبيعية جداً عند الفلاسفة، إذ أن الفلسفة هي الحكمة، والحكمة بحد ذاتها هي وسط بين رذيلتين كلاهما مذموم وهما السفه والبله وكما وضحنا ذلك في معنى الوسط الذهبي عند أرسطو ومن وافقه من الفلاسفة.
- جميع فلاسفة الإسلام حاولوا التوفيق بين الحكمة والشريعة كونهما صادران من مشكاة واحدة، وهذا التوفيق بحد ذاته منهج في الاعتدال والتوسط في الأمور.
- كان ابن رشد من أشد الفلاسفة الذين تبنوا منهج الاعتدال في الخطاب الفلسفي، ودعا إلى التمسك بهذا المنهج في الخطاب الديني، وتناول في كتبه مسائل خطيرة في العقيدة كُفِر بسببها الفلاسفة فبين لنا أنها مسائل خلافية قابلة للاجتهاد كما أنها ليست من الثوابت أو ضرورات الدين.
- دعا ابن رشد المتكلمين وأصحاب الفرق عدم إقحام الجمهور في مسائل خلافية ليست من ضرورات الدين وتوضيح مسائل العقيدة من خلال القرآن الكريم وعدم إلزامهم بالحجج الجدلية أو البرهانية لأن ذلك فوق مستويات عقول الجمهور ويؤدي إلى تشكيك الجمهور بمسائل دينهم.

**توصية:-**

من خلال البحث يثبت لنا زيف بعض مفكري الغرب في ادعائهم بأن الإسلام دين عنف وتطرف وغلو بينما التاريخ يثبت عكس ذلك، كما يثبت أيضا أن ما وصل إليه الغرب من تقدم وثراء كان بسبب حروب طاحنة واحتلال ونهب لثروات وإبادة شعوب كاملة في القرون الماضية، ولا زال هذا النمط من التفكير التسلطي هو السائد في أغلب دول الغرب لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية، ودليل ذلك رأي هنتنكتون في تفسيره للتاريخ على أساس الصراع والحروب بين الحضارات والأديان، وفوكوياما يصور لنا نهاية التاريخ على أنه انتصار للفكر الليبرالي الأمريكي، وهذه النظريات نابعة من فكرة المركزية الغربية، والتسلط الغربي وهي غير قادرة على روية الآخر والحوار معه من منظور إنساني أخلاقي.

فعلينا قراءة تراثنا قراءة متأنية لتبيان نقاط القوة فيه والافصاح عنه لأجيالنا والإفادة منه في التعامل مع الآخر فضلاً عن التعامل فيما بيننا.

**الاحالات**

[١] - ينظر صلبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢ ، ج٢، ص١٦٠ وما بعدها/ لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة للطباعة و النشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ص١٥وما بعدها.

[٢] - ينظر ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، ج١ ، ص٧٢٢ ، ج٥ ، ص.٣٦٤٢.
[٣] - ينظر الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديدة – بيروت،ط٢، ١٩٧٥، ص٨٢-٨٣ .
[٤] - ينظر المصدر نفسه ، ص٨٩ .
[٥] - ينظر ارسطو، الاخلاق ، ترجمة اسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٩، ص٩٤ / افلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، بغداد، ص١٢٣/ ابن مسكويه ، تهذيب الاخلاق، دار مكتبة الحياة، بيروت،١٩٦١، ص١٠٤ / ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ج١، ص٣٥٣-٣٩٤
[٦] ينظر الشرباصي ، أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، مكتبة بحر العلوم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧، القاهرة، ج٢، ص٩٩
[٧] سورة البقرة، من الآية ١٤٣.
[٨] - سورة الإسراء ، من الآية ٢٩.
[٩] - البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، دار الشعب - القاهرة ،ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ج٧،ص٤٠، رقم الحديث، ٥١٩٩.
[١٠] - النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤ ، ص٢٠٥٥، رقم الحديث، ٢٦٧٠ .
[١١] - ينظر عبده، محمد ، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦، ص١٣ .
[١٢] عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص٤١.
[١٣] - ينظر الأهواني ، كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى ، القاهرة ص٧٧، ٩٧ ، ١٢٥ .
[١٤] - ينظر المصدر نفسه ، ص٨٧.
[١٥] - ينظر الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريدة، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٠، ج١ ، ص٩٢ ، ص٩٣ .
[١٦] - ينظر المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣٧٣ .
[١٧] - ينظر المصدر نفسه، ج١ ، ص٣٧٥ -٣٧٦ .
[١٨] - ينظر المصدر نفسه، ج١ ، ص٣٧٣ – ٣٧٤ .
[١٩] - ينظر الكندي ، الرسائل ، ج١ ، ص١٠٣-١٠٥ .
[٢٠] - ينظر الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، رسائل فلسفية ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٠ ، ص١٧-١٨ .
[٢١] - ينظر المصدر نفسه ، ص٤٦ -٤٨-٥٥-٥٦-٥٩ .
[٢٢] - ينظر المصدر نفسه، ص ٩٢ .
[٢٣] - ينظر الفارابي، ابو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٠، ص ١٢٨-١٢٩. ووافق الغزالي الفارابي وابن سينا في أن الأنبياء يتلقون المعرفة الغيبية من طريق القوة المتخيلة عندهم، وكان ذلك مثار جدل عند المخالفين لهم، وليس هذا مجال تفصيله في بحثنا هذا، ينظر الغزالي، معارج القدس في معرفة أحوال النفس، ص٧٧، ١٣٨.
[٢٤] - ينظر المصدر نفسه ، ص١١٥.
[٢٥] - ينظر ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، تحقيق مجتبى الزارعي ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، نشر بوستان كتاب قم ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ ،ص٣٥٧ .
[٢٦] - ينظر المصدر نفسه ، ص٣٦٤ .
[٢٧] - ينظر ابن سينا، الشفاء، الالهيات ، تحقيق حسن زاوة، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، مطبعة باقري، ط١، ١٤١٨ هـ، ص٤٨٧.

[٢٨] - ينظر ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، ص٣٦٤-٢٦٥ .
[٢٩] - ينظر أخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت، المجلد الثالث، ص٤٤٣ .
[٣٠] - سورة الحج ، من الآية ٧٨.
[٣١] - ينظر اخوان الصفا مجلد الثالث ، ص٤٩١ . وينظر نص الحديث على سبيل المثال البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،ج٨، ص ٤١٣، رقم الحديث ١٧٠٥٧.
[٣٢] - ينظر الغزالي، تهافت الفلاسفة، نشرة بويج، ص ٢١ وما بعدها.
[٣٣] - ينظر - ابن طفيل، حي بن يقظان، في كتاب حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي ، تحقيق أحمد أمين ، دار المعارف ، مصر ، سلسلة ذخائر العرب (٨) ، ص ٩٦.
[٣٤] _ سورة الحشر، من الآية ٢.
[٣٥] _ سورة الأعراف، من الآية ١٨٥.
[٣٦] _ سورة الغاشية، الآيات ١٧ ، ١٨، ١٩، ٢٠
[٣٧] - ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من اتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة ، ط ٣ ، ص ٢٢-٢٣
[٣٨] - ينظر ابن رشد ، فصل المقال، ص٢٤
[٣٩] - ينظر ابن رشد ، فصل المقال ، ص٢٨ .
[٤٠] - ينظر الكندي، رسائل الكندي، ج١، ص١٠٣.
[٤١] - البرهان هو قياس مؤلف من مقدمات واجب قبولها، ينظر ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ، ص١٦٦.
[٤٢] - القياس الجدلي مؤلف من قضايا مشهورة وتقريرية، ينظر ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص١٦٦.
[٤٣] - القياس الخطابي مؤلف من قضايا مظنونة ومقبولة وتكون أدنى من القضايا المشهورة، ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص١٦٦.
[٤٤] _ سورة النحل، من الآية ١٢٥
[٤٥] - ينظر ابن رشد، فصل المقال، ص ٣١.
[٤٦] - ينظر المصدر نفسه ، ص٣٢.
[٤٧] - ينظر المصدر نفسه ، ص٣٤.
[٤٨] - ينظر المصدر نفسه، ص٣٥، وينظر بشأن الموضوع ، الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص٣٧٦.
[٤٩] - ينظر ابن رشد، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة ، تحقيق محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨، ص٩٩ .
[٥٠] - ينظر ابن رشد، الكشف عن مناهج الادلة ، ص١٠٠ .
[٥١] - ينظر ابن رشد، فصل المقال ، ص٦٧ .
[٥٢] _ سورة هود، من الآية ٧.
[٥٣] - سورة فصلت ، من الآية ١١ ، ينظر ابن رشد، فصل المقال، ص ٤٢.
[٥٤] - ينظر ابن رشد، فصل المقال، ص٥١.
[٥٥] - ينظر بشأن هذا الموضوع على سبيل المثال الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود، (المتوفى: ٣٣٣هـ)، التوحيد، تحقيق، فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ص٣.
[٥٦] _ سورة البقرة ، الآيات ٢١، ٢٢ ،
[٥٧] _ سورة إبراهيم، من الآية ١٠.
[٥٨] - ينظر ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، ص١٠١-١٠٢ .
[٥٩] - ينظر ابن رشد، الكشف عن مناهج الادلة ، ص١٠٣/ ولمعرفة تفاصيل هذا الموضوع ينظر على سبيل المثال، صبحي، احمد محمود، في علم الكلام، المعتزلة، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ط٥، ١٩٨٥، ص٢١١وما بعدها.
[٦٠] _ سورة النبأ، من الآية ٦ إلى ١٥.
[٦١] _ سورة عبس، من الآية ٢٤ إلى ٣٢.
[٦٢] _ سورة الغاشية ، الآيات من ١٧إلى ٢٠.

[٦٣] - ينظر ابن رشد، أبو الوليد محمد ، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ذخائر العرب(٣٧)، القسم الثاني، ص٦٤٩ .
[٦٤] - ينظر ابن رشد، تهافت التهافت، ج٢ ، ص٧٠٥
[٦٥] _ سورة الإسراء ، الآية ٨٥.
[٦٦] - سورة الزمر ، من الآية ٤٢.
[٦٧] - ينظر ابن رشد، تهافت التهافت، ص٨٣٣-٨٣٤
[٦٨] - ينظر هنتنجتون، صامويل، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ط٢، ١٩٩٩، ص ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٨.
[٦٩] - ينظر فوكوياما، نهاية التاريخ، والإنسان الأخير، مركز الإنماء القومي، بيروت، دار الطليعة، المقدمة.

## قائمة المصادر

بعد القرآن الكريم :-
_ ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
_ ابن رشد، أبو الوليد محمد ، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ذخائر العرب(٣٧).
_ ابن رشد، أبو الوليد محمد، فصل المقال فيما بين الحكمة و الشريعة من اتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ .
- ابن رشد ، أبو الوليد محمد، الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة ، تحقيق محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، ١٩٩٨.
- ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، تحقيق مجتبى الزارعي ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، نشر بوستان كتاب قم ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ.
- ابن سينا ، الشفاء ، الالهيات ، تحقيق حسن زاوة ، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي ، مطبعة باقري ، ط١، ١٤١٨ هـ .
- ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق أحمد أمين، دار المعارف، مصر ، سلسلة ذخائر العرب (٨).
_ ابن مسكويه ، تهذيب الاخلاق، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.
- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف.
- اخوان الصفا، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر ، بيروت.
- ارسطو، الاخلاق ، ترجمة اسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٧٩.
_ افلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، بغداد.
- الأهواني ، كتاب الكندي الى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى ، القاهرة .
_ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، دار الشعب - القاهرة ،ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
_ البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

_ الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا ، رسائل فلسفية ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٠.
_ الشرباصي ، أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، مكتبة بحر العلوم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧، القاهرة.
_ صبحي، احمد محمود، في علم الكلام، المعتزلة، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ط٥، ١٩٨٥.
_ صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.
_ عبد الحميد، محسن، تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- عبده، محمد ، رسالة التوحيد، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٦.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، تهافت الفلاسفة، نشرة بويج.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.
- الفارابي، ابو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٠.
_ فوكوياما، نهاية التاريخ، والإنسان الأخير، مركز الإنماء القومي، بيروت، دار الطليعة.
_ الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريدة، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٠.
_ لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة للطباعة و النشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
_ الماتريدي، أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، تحقيق، فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
_ النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
_ هنتنجتون، صامويل، صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي، ط٢، ١٩٩٩.